العنوان: النخب المغاربية في كتاب درر العقود الفريدة للمقريزي ت 845 هـ/ 1442م

المصدر: أعمال المؤتمر الدولي الأول : النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات - كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة - تونس

المؤلف الرئيسي: عبوش، فرهاد حاجي

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2012

الصفحات: 242 - 264

رقم MD: 623585

نوع المحتوى: بحوث المؤتمرات

قواعد المعلومات: HumanIndex

مواضيع: المغرب، التراجم، كتاب درر العقود الفردية، المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، ت. 845 هـ

رابط: http://search.mandumah.com/Record/623585

النخب المغاربية في كتاب
درر العقود الفريدة
للمقريزي (ت845هـ/1442م)

فرهاد حاجي عبوش
جامعة دهوك إقليم كُردستان العراق

المقدمة

يعد كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) من كتب التراجم التي خصصها المقريزي لترجمة حياة أصدقائه وأحبابه ومعارفه وشيوخه ومشاهير الرجال والنساء في عصره من سائر طبقات المجتمع، فيعد من المصادر الفريدة للوقوف والاطلاع على حياة الكثير من الشخصيات والأعلام في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، ومن بينهم نخب المغاربية كالنخب التونسية والجزائرية والمغربية وغيرهم.

تكمن أهمية الكتاب في أن مؤلفه المقريزي أتبع نهجاً خاصاً، حيث رتب تراجمه على الحروف الهجائية في الاسم الأول فقط. أما أسماء الآباء فلم ترتب هجائياً خلافاً لما التزم به المؤرخون الآخرون، ودّون فيها تراجمهم وأخبارهم وآثارهم وأشعارهم، حتى عدّ من أغنى كتب التراجم وأنفسها لما فيه من غزارة في المعلومات، وهو أشبه ما يكون بدائرة معارف أعيان عصر المؤلف.

كشف المقريزي من خلال نهجه هذا، وخلال تلك التراجم عن العديد من الجوانب الهامة التي تخصُ المغاربة وأخبارهم، حيث أورد كثيراً من النخب السياسية والإدارية والدينية والعلمية لهم، إذ خصص صفحات عديدة من كتابه هذا للحديث عن السلاطين والملوك والأمراء المغاربة وترجم لهم، كما أنه ترجم للعديد من الفقهاء والعلماء المغاربة ممن برزوا في المجالات التعليمية والدينية المختلفة في بلاد الشام ومصر والحجاز خلال العهد المملوكي. يحاول البحث أن يلقي أضواء على أخبار وروايات هامة التي جاء بها المقريزي عن المغاربة وأخبارهم.

1- المقريزي وكتابه "درر العقود الفريدة".

هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم، الشهير جده بالمقريزي، ووالده بأبن المقريزي[1]، المكنى بأبي محمد أو أبي العباس،

---

[1] هكذا ساق المقريزي نسبه بخطه على غلاف بعض كتبه. ينظر: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، حققه وعلق عليه: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: 2002)، مج2،

والملقب بتقي الدين، المعروف بالمقريزي[2]، الشافعي، الحسيني العبيدي[3]. ولد المقريزي في القاهرة سنة (766هـ/ 1364م)[4]، ونشأ نشأة حسنة في كنف أسرة بعلبكية الأصل، عرفت أصولها بالمشاركة في تحصيل العلم، والمساهمة في نشره ببعلبك ودمشق والقاهرة[5]، حيث عكف المقريزي منذ طفولته على التعلم، إذ درس على كبار شيوخ عصره [6] وعلمائه في الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والأدب والتاريخ، وغيرها من فنون المعروفة المتداولة في عصره – آنذاك – على عدد وافر من أعلام العلماء في مصر ومكة والشام، حتى أصبح علماً من أعلام عصره ، إلا أن جلّ اهتمامه أتجه نحو التاريخ، وولع به وصنف فيه كتباً، "وكان لكثرة ولعه

ص 57؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1997)، ج1، ص 101؛ مختصر الكامل في الضعفاء وعلل الحديث لأبن عدي، حققه وعلق عليه: أيمن بن عارف الدمشقي، مكتبة السنة – الدار السلفية لنشر، (القاهرة: 1994)، ص 37.

[2] نسبة إلى حارة المقارزة في بعلبك. شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني(ت 852هـ/ 1448م)، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة،(بيروت: 1994)، مج3، ص59؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي(ت 902هـ/ 1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة،(بيروت: د.ت)،ج2، ص21. ويعتقد محمد مصطفى زيادة بأن هذه الحارة سميت بهذا الاسم نسبة إلى (مقريز) وهي جهة بايطاليا قريبة من عاصمتها روما، التي وفد منها عدد من التجار أبان الحروب الصليبية، وسكنوا في أحدى حارات بعلبك لأمور تتعلق بمصالحهم التجارية، فحافظت تلك الحارة على تسميتها الإيطالية بعد جلاء الصليبيين عنها. واكتسبت أسرة المقريزي تلك التسمية لنزولها بها، وزالت تلك الحارة الآن معالمها، ولم يعد أحد يعرفها. ينظر: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي القرن التاسع الهجري، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة:1954)، ص7؛ السلوك للمقريزي، مجلة تراث الإنسانية،الشركة العربية للطباعة والنشر، مطابع كوستا توماس،(القاهرة: د.ت)، مج2، ص 510.

[3] ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة: 1998)، ج4، ص 187؛ السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة: 2002)، ج1، ص 71؛ الضوء اللامع، ج2، ص 21؛ محمد بن علي الشوكاني(ت 1250هـ/ 1753م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1998)، ج1، ص 56. أشار ابن حجر العسقلاني إلى أن جد المقريزي (عبد القادر) وأباه (علياً) كانا حنبليين، أما المقريزي فقد نشأ على المذهب الحنفي، وهو مذهب جده لأمه الشيخ شمس الدين ابن الصائغ الحنفي، ولكن بعد أن جاوز العشرين، تحول إلى المذهب الشافعي وأستقر على ذلك المذهب حتى وفاته. ينظر: المجمع المؤسس، مج3، ص 59؛ محمد كمال الدين عز الدين علي، أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: 1992)، ص 159.

[4] السخاوي، التبر المسبوك، ج1، ص 71؛ الضوء اللامع، ح2، ص 21.

[5] ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج4، ص 187؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج1، ص 71؛

- F. Rosenthal. Art, Makrizi, the Encyclopaedia of Islam, new Edition, (Leiden: 1991), Volume VI, p 193.

- زيادة، السلوك للمقريزي، مج2، ص 509؛

[6] عن شيوخه ينظر: ابن حجر العسقلاني، المجمع المؤسس، مج3، ص ص 59 – 60؛ علي ,أربعة مؤرخين,ص ص170-173؛ حسين عاصي، المقريزي – مؤرخ الدول الإسلامية في مصر، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1993)، ص ص7-10.

بالتاريخ يحفظ كثيراً منه"[7]، حتى أصبح عالماً متبحراً في علم التاريخ على اختلاف أنواعه، ومؤلفاته تشهد له بذلك[8].

حظي المقريزي بمكانة علمية مرموقة بين الأوساط العلمية في عصره فتحدث مترجموه عن صفاته العلمية والثناء عليه، فأشاد به ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م) بأنه:"كان حسن الصحبة، حلو المحاضرة"[9]، فضلاً عن ذلك شارك (في الفنون، وله النظم الفائق، والنثر الرائق، والتصانيف الباهرة خصوصاً في تاريخ القاهرة. فأنه أحيى معالمها، وأوضح مجاهلها، وجدد مآثرها، وترجم أعيانها ... وفي الأكثر هو مؤثر للإنجماع بمنزلة مع حسن الخلق، وكرم العهد، وصدق الود، وبيننا من المودة ما لا يسعه الورق)[10]، علاوة على ذلك وصفه ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م) بأنه كان:"إماماً فاضلاً، بارعاً، متقناً، مفنناً، ضابطاً، ديناً، خيراً... وكان حلو المحاضرة، فكه المنادمة، لاسيما إذا ذاكره الشخص بالتاريخ وأيام السلف من القرون الماضية، فكان أعجوبة في ذلك، وكان معظماً في الدول، مبجلاً عند الأكابر إلى الغاية"[11].

يتضح مما سبق بأن الصفات والخصال التي تحلى بها المقريزي، ساعدته على تكوين مكانة وهيبة له لدى العلماء والمؤرخين والحكام ولاسيمّا الناس وعامتهم في عصره، وفرض احترامه عليهم، لهذا أحتل مركزاً عالياً بين المؤرخين المصريين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري.

أما بالنسبة إلى وظائفه الحكومية فأنه ألتحق بها في مقتبل حياته، وأول عمل تقلده هي وظيفة موقع -كاتب- في ديوان الإنشاء[12]، ثم أصبح قاضياً عند قاضي القضاة الشافعية[13]، وبعد ذلك تولى وظيفة المحتسب في القاهرة، إلا أنه لم يستقر فيها، فقد عزل وأعيد مرات عديدة إليها[14]، فضلاً عن ذلك عين مدرساً في عدد من المدارس في مصر والشام كالمدرسة المؤيدية

---

(7) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج4، ص ص 187 – 188؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج1، ص ص 77 – 78.

(8) الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 57؛ ابي تراب الظاهري، أعلام أهل الحاضر برجال من الماضي الغابر، (د/م: 1985)، ج1، ص 222.

(9) أنباء الغمر، ج4، ص ص 187 – 188.

(10) ابن حجر العسقلاني، المجمع المؤسس، مج3، ص 60.

(11) جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874هـ/ 1469م)، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، (القاهرة: 1990)، ج1، ص 66.

(12) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1998)، ج2، ص 279؛ج3، ص 393؛ عاصي، المقريزي ، ص 10.

(13) السخاوي، التبر المسبوك، ج1، ص 72؛ الضوء اللامع، ج2، ص 22.

(14) عن ذلك ينظر :المقريزي، درر العقود الفريدة ، مج3، ص ص 132،30، 573؛ السلوك، ج5، ص 437؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: احمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، (القاهرة: 1956)، ج1، ص 395؛ علي بن داود بن إبراهيم الخطيب الجوهري الصيرفي(ت 900هـ/ 1495م)، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، (القاهرة: 1971)، ج2، ص ص 46، 57،201؛السخاوي، الذيل على رفع

بالقاهرة[15]، والمدرستين الإقبالية[16] والأشرفية[17] بدمشق مع النظر على أوقاف القلانسي والبيمارستان النوري[18] فيها[19]، ثم تولى وظائف أخرى كوظيفة الإمامة بمدرسة السلطان حسن[20]، وبجامع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[21]، ووظيفة الخطابة بجامع عمرو بن العاص[22]. يتبين مما سبق بأن المقريزي تقلد وظائف متنوعة، كان بعضها في مصر، وأخرى في الشام، وأكد السخاوي(ت902هـ/1497م) بأنه (حمدت سيرته في مباشراته)[23] لتلك الوظائف.

ويبدو أن المقريزي قد سئم من الوظائف الحكومية، لذا أمضى بقية حياته الطويلة بالقاهرة ليتفرغ للدراسة والتأليف، وجعل من داره ندوة للعلم ومقصداً للطلاب والعلماء[24]، حتى توفي بعد مرض مزمن في القاهرة عصر يوم الخمس 16 من شهر رمضان المبارك سنة (845 هـ/29 كانون الثاني سنة 1442م)، عن عمر ناهز الثمانين عاماً[25]، ومخلفاً وراءه تراثاً ضخماً جديراً بدراسته والانتفاع منه.

الاصر(بغية العلماء والرواة)، تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: 2000)، ص 432.

(15) السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 22؛ زيادة، السلوك للمقريزي، مج2، ص 511.

(16) المدرسة الاقبالية: أنشأها جمال الدولة إقبال خادم نور الدين وعتيق ست الشام، وتقع داخل باب الفرج وباب الفراديس بدمشق، هي شمالي حمام العقيقي. ينظر: عبد القادر بن محمد النعيمي (ت 978هـ/ 1570م)، الدارس في تاريخ المدارس، حققه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت:1990)، ج1، ص ص118 – 123؛ محمد كرد علي، خطط الشام، دار العلم للملايين، (بيروت: 1971)، ج6، ص 75.

(17) المدرسة الاشرفية: أنشأها الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل الأيوبي في سنة (630هـ/ 1232م)، والتي تعرف بدار الحديث الاشرفية، وهي تقع جوار باب القلعة الشرقي، غربي العصرونية وشمال القيمازية الحنفية بدمشق. ينظر: النعيمي، الدارس، ج1، ص ص 15 – 36؛ علي، خطط الشام، ج6، ص 71.

(18) البيمارستان النوري: أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في دمشق، تولى بنائه قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوي، وكان الحاكم المتحكم في الدولة النورية بدمشق. ينظر: علي، خطط الشام، ج6، ص 157؛ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط2، دار الرائد العربي، (بيروت: 1981)، ص ص 206 – 223.

(19) المقريزي، السلوك، ج6، ص 217؛ ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص 67؛ المنهل الصافي، ج1، ص 396؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج1، ص 73؛ وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، حققه: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني وأحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة، (بيروت: 1995)، ج2، ص 580؛ Rosenthal. EI. Art. Makrizi, VI, P. 193 .

(20) السخاوي، التبر المسبوك، ج1، ص 72؛ Rosenthal. EI. Art. Makrizi, VI, P. 193؛ عاصي، المقريزي، ص 11.

(21) السخاوي، التبر المسبوك، ج1، ص 72؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 56.

(22) المقريزي، درر العقود الفريدة ، مج2، ص 512.

(23) التبر المسبوك، ج1، ص 73؛ الضوء اللامع، ج2، ص 22.

(24) المقريزي، درر العقود الفريدة ، مج1، ص 276؛ مج3، ص 519، ابن حجر العسقلاني، المجمع المؤسس، مج3، ص 59؛ عاصي، المقريزي، ص ص 15- 16.

(25) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص 63؛ المنهل الصافي، ج1، ص 399؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج1، ص 78، الضوء اللامع، ج2، ص 25؛ أبي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد ابن العماد الحنبلي(ت 1089هـ/ 1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث

من خلال مراجعة مؤلفات المقريزي وآثاره العلمية، فأنه يعد من المؤلفين الموسوعيين الذين كتبوا في جميع المجالات، حيث ترك مؤلفات عديدة، في مجال التاريخ والأنساب والعقائد والفقه والأدب والعلوم البحتة فكان "كثير الكتابة والتصنيف، وصنف كتباً كثيرة"[26] حيث أفنى عمره في كتابة التاريخ والتصانيف، ومن أبرز تلك التصانيف وأشهرها: السلوك لمعرفة دول الملوك؛ وكتاب المقفى الكبير؛ ودرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة؛ والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار؛ واتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا؛ والذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك؛ وإغاثة الأمة بكشف الغمة؛ وشذور العقود في ذكر النقود؛ والأوزان والأكيال الشرعية وغيرها[27].

وأهم تلك الكتب هو كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) موضوع الدراسة، إذ أشار المقريزي في مقدمته إلى الدافع الرئيسي وراء تصنيفه له بقوله: "فأني ما ناهزتُ من سني العمر الخمسين حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين، فأشتد حُزني لفقدهم، وتنغص عيشي من بعدهم، فعزيَّتُ النفس عن لقائهم بتذكارهم، وعوّضتها عن مشاهدتهم بأستماع أخبارهم، وأمليتُ ما حضرني من أنبائهم في هذا الكتاب ومن ذكرهم فطاب، وسميته "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة". وهو في الحقيقة ذكري معاهد الأحباب وتذكر عهد الشيخة والأصحاب"[28]، وأضاف قائلاً: (إني رأيت بعد ذلك أن أجمع أخبار من أدركتهُ، سواء غابَ عني أو رأيتهُ من أهل مِصري كان، أو غيرها من البُلدان، فأُقيِّدُ أخبار الملوك والأمراء، وأعيان الكُتاب والوزراء، وأذكر رُواة الحديث والفقهاء، وحمَلة سائر علوم والشُعراء، ومن له ذكرٌ شهيرٌ، أو قدرٌ نبيهُ خطير، إما من رجال الدُنيا، أو طُلاّب الأخرى من ابتداء سنة ستين وسبع مئة)[29].

يتضح مما سبق بأنه بدأ بوضع هذا الكتاب حوالي سنة(816هـ)، إذ أن مولده كان سنة (766هـ)، وأستمر إلى قرب وفاته سنة (845هـ)، إذ أستغرق في التأليف والإضافة عليه نحو ثلاثين سنة. تناول فيها حياة الكثير من الشخصيات والأعلام في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر

العربي، (بيروت: د.ت)، ج7، ص 355. بينما وهم كل من: ابن حجر العسقلاني عندما أرخ وفاته بيوم الخميس، التاسع عشر من رمضان. ينظر: أنباء الغمر، ج4، ص 188، في حين أرخ بدر الدين محمود بن أحمد العيني(ت 855هـ/ 1451م) وفاته بيوم الجمعة، التاسع والعشرين من شعبان. ينظر: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، الزهراء للأعلام العربي، (القاهرة: 1989)، ص 574.

[26] ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص 67؛ المنهل الصافي، ج1، ص 397.

[27] ذكر ابن تغري بردي (23) كتاباً له. ينظر: المنهل الصافي، ج1، ص ص 397 – 398. بينما السخاوي ذكر (27) كتاباً له. ينظر: التبر المسبوك، ج1، ص ص 73 – 75؛ الضوء اللامع، ج2، ص ص 22 – 23.

[28] درر العقود الفريدة ، مج1، ص 61.

[29] المصدر نفسه، مج1، ص 62.

والخامس عشر الميلاديين. يعد ذلك الكتاب من كتب التراجم والطبقات، وهو أحد أنماط التدوين التاريخي التي تناولت مختلف طبقات المجتمع الإسلامي، وخاصة حياة أصدقائه وأحبابه ومعارفه وشيوخه ومشاهير الرجال والنساء في عصره. وفيما يتعلق بمنهجه التاريخي في كتابه "درر العقود الفريدة" فقد رتب المقريزي عناصر تراجمه على الحروف الهجائية، ابتداءً بترجمة "إبراهيم بن محمد بن بهادر (ت816هـ/1413م) المعروف بإبن زقاعة"[30] وأنتهاءً بترجمة ((يونس بن حسين الواحي (ت842هـ/ 1438م))[31] معتبراً في ترتيبهم اسم العلم المترجم له، غير ملتفت إلى أسماء الآباء أو الأجداد، والتي ضمت في الغالب توثيق أسم ونسب المترجم، وألقابه وكنيته، ومذهبه، وصفات المترجم له وأحواله الاجتماعية والاقتصادية، ونشأته العلمية وتخصصاته، ووظيفته أو منصبه، ومنزلة المترجم له ومكانته، ورحلاته وشيوخه وتلامذه، وآثاره ومؤلفاته، إن كان عالماً، كما يسعى دائماً إلى ذكر تاريخ مولد المترجم، ومكان ولادته، ووفاته ومكانها، ولم يغفل مؤرخنا- في الغالب- علاقته بمترجميه. إلا أن كل هذه العناصر لم يذكرها المقريزي في جميع تراجمه، إذ قد ينقص عُنصر أو عنصران من ترجمته أو يزيد، حسب توفر المعلومات أو نقصها من ترجمة إلى أخرى، لان أصحاب تلك الترجمات لم يكونوا على مستوى واحد من المكانة والأهمية، فمنهم السلطان والصعلوك، والأمير والوضيع، والعالم والجاهل، والمشهور والمغمور، والكبير والصغير ....الخ[32].

أمتاز أسلوبه في تدوين عناصر تراجمه بأسلوب سهل، وعبارة سليمة، خالية من التعقيدات اللغوية، والزخارف اللفظية، أو الأخطاء النحوية. كما أن عناصر التراجم التي دونها في كتابه "درر العقود الفريدة"لا تقتصر على موطنه فحسب، بل أمتازت مساحته بالشمول المكاني، حيث اشتمل عناصر تراجم كتابه على الكثير من بلدان العالم الإسلامي كالعراق، وبلاد الشام، والحجاز، والمغرب، والأندلس، وغيرها، إلا أن تراجمه المصرية – وخاصة في القاهرة – كانت بارزة أكثر من غيرها على وجه الخصوص، وذلك بسبب طبيعة الإقامة فيها والانتماء إليها[33].

يتضح مما سبق بأن أهمية الكتاب"درر العقود الفريدة" تكمن بأن تراجمها أمتازت بالشمول النوعي والمكاني، حيث لم تقتصر على فئة بعينها، أو بلد دون آخر، فقد ذكر المقريزي فيها تراجم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

---

(30) المصدر نفسه، مج1، ص ص 63-65.

(31) المصدر نفسه، مج3، ص 586.

(32) للتفصيل عن المنهج الذي أتبعه المقريزي في كتابة التراجم في كتابه (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) ينظر: محمد كمال الدين عز الدين علي، المقريزي مؤرخاً، عالم الكتب، (بيروت: 1990)، ص ص 94 – 121.

(33) محمد كمال الدين عز الدين علي، دراسات نقدية في المصادر التاريخية، عالم الكتب، (بيروت:د.ت)، ص ص401-402.

2- النخب المغاربية في كتاب (درر العقود الفريدة).

يعد كتاب "درر العقود الفريدة" من كتب المعاجم في ترجمات أعيان عصر المقريزي، وهو أحد أنماط التدوين التاريخي، حيث تناول فيها حياة أصدقائه وأحبابه ومعارفه وشيوخه ومشاهير الرجال والنساء في عصره من سائر طبقات المجتمع، وبلغ عدد المترجمين في ذلك الكتاب حوالي (1473) ترجمة، وكان من بين مترجميه العديد من النخب المغاربية أو المنسوبين إلى المدن والبلدان المغربية مثل تونس والجزائر والمغرب وغيرها. وعلى الرغم من أن نصيب المغاربة من تلك التراجم قليلة، حيث بلغ عدد تراجمهم حوالي (80) ترجمة، أي النسبة المئوية (5,431%)، إلا أن المقريزي أتى فيها بمعلومات جيدة وهامة أحياناً عن المغاربة في بلاد الشام ومصر وحجاز خلال العهد المملوكي[34].

ركز هذا المبحث على أخبار النخب المغاربية وتراجمهم في كتابه (درر العقود الفريدة)، مع تحليل بعض تلك الروايات من خلال موازنة معلوماته بما سجله المؤرخون المعاصرون له، ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

1-2-مصادر المقريزي عن النخب المغاربية:

أستقى المقريزي مادته في هذا الكتاب عن النخب المغاربية من مصادر متعددة ومتنوعة، وقد كشف عن بعضها من خلال الإشارة إليها، وبقي البعض الآخر مجهولاً لعدم تصريحه بأسمائها، ولكن بشكل عام يمكن حصر مصادره عن النخب المغاربية في ثلاثة أنواع: وتأتي في مقدمتها، **مشاهداته العيانية**، إذ يعد كتابه"درر العقود الفريدة" من الكتب المهمة في هذا المجال، وذلك لأنه كتب عن أناس معاصرين له فيها، حيث ترجم لمجموعة كبيرة من شيوخه وأقرانه وأصدقائه ومعارفه، لذا أورد عبارات دالة على مشاهدته ودقة ملاحظته لهؤلاء المترجمين فيها. وذكر أحياناً سماعاته أو كتاباته عن هؤلاء الشيوخ أو مجالسته لهم، أو اجتماعه بهم، مما يشير إلى اتصاله بهم والإطلاع على شؤونهم ومعرفة أحوالهم وتتبع سيرتهم، فعلى سبيل المثال لا الحصر أنه ضمن ترجمة الشيخ طلحة بن عبد الله البجائي المغربي (ت794هـ/1391م) أكد فيها بقوله: "وقد زرت هذا الشيخ طلحة بمصر"[35]، كما ذكر ضمن ترجمة برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد الصنهاجي المالكي (ت796هـ/1393م) عنه بأنه:"اجتمع بي لما قدمت مكة في سنة سبع وثمانين وسبع مئة في منزلي بها، وقد جاء للسلام عليّ فصحبته من حينئذ"[36]، أما عن الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان

---

[34] على سبيل المثال لا الحصر ينظر : درر العقود الفريدة، مج1، ص ص61-62، 135-137، 160-161، 271، 331، 382؛ مج2، ص ص91-92، 200، 224، 317، 354-355، 556؛ مج3،ص ص22، 80-81، 169-170، 214-216، 234-235، 343-344، 538-543، 585-586.

[35] درر العقود الفريدة ، مج2، ص 200.

[36] المصدر نفسه، مج1، ص 75.

التونسي (ت819هـ/1416م)، فأنه ذكر في ترجمته نصاً بأنه "من مجلسه _أي مجلس أستاذه ابن خلدون- عرفته"[37]، وحين تناول المقريزي ترجمة الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي المغربي (ت843هـ/1439م) أكد بأنه:((جاور مكة فلقيني بها سنة تسع وثلاثين – وثماني مئة- ولازمني ، وسمع عليّ بعض كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأخوال والحفدة والمتاع امتاع)[38]، وغيرها من الأمثلة على مشاهداته العيانية[39].

والنوع الثاني من مصادره، والتي تأتي في المرتبة الثانية بعد مشاهداته العيانية، هو المصادر **الشفوية** ، وتشتمل على الروايات والأخبار والأشعار التي سمعها المقريزي من شيوخه، أو من أعيان الدولة، أو حدّثه أصحابه أو المترجم لهم، وما يتعلق به من أمور أخرى: كنسبه أو أشعاره أو غير ذلك، فروى المقريزي عن المترجم نفسه بعض المعلومات، فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما ترجم لأستاذه ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي (ت808هـ/1405م) أخذ منه نسبه حين قال"كذا أملي عليّ نسب"[40] ، كما أورد في ترجمة السلطان المريني أبو سالم إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن علي ابن السلطان أبي سعيد عثمان (760-762هـ/1359-1361م) ملك فاس والمغرب الأقصى، قصيدة التي أنشدها الوزير لسان الدين ابن الخطيب الأندلسي (ت776هـ/1374م) للسلطان أبو سالم في المغرب، فقال المقريزي بعد تدوين تلك القصيدة نصاً (أملي عليّ هذا القصيدَّ كما أوردته شيخنا... ابن خلدون... في يوم الخميس منتصف صفر سنة أربع وتسعين وسبع مئة، ثم قال:وكنت يومئذ في المجلس ..)[41]، وحين تناول المقريزي ترجمة أحمد بن عبد الخالق بن محمد المغربي (ت802هـ/1399م) أكد فيها بأن: (شعره كثيرَ طالما أنشدني ...)[42].

وفي بعض الأحيان ذكر المقريزي معلومات عن مترجميه دون أن يذكر مصدره الذي بلغه ذلك الخبر، فمثلاً عندما أشار إلى ترجمة عبد الله بن أحمد التونسي (ت787هـ/1385م) أكد فيها بأنه قد"بلغني أنه مات بصعيد مصر في سنة سبع وثمانين وسبع مئة.."[43]، كما بيّن لنا ذلك أيضاً عندما أشار إلى ترجمة السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي العباس أحمد الحفصي (796-837هـ/1393-1433م) ملك تونس وعامة إفريقية، أكد بأنه "قد بلغني مما لا أتهم أنه كان لا ينام من الليل سوى أربع ساعات، ويعمر باقيه

---

[37] المصدر نفسه، مج3، ص 207.
[38] المصدر نفسه، مج1، ص 315.
[39] ينظر : المصدر نفسه، مج1، ص 276؛مج2،ص ص91، 251، 345، 353، 354 ،403، 501؛ مج3،ص ص101، 123، 147، 170، 502، 537.
[40] درر العقود الفريدة ، مج2، ص 383.
[41] المصدر نفسه، مج1، ص 121.
[42] المصدر نفسه، مج1، ص 167.
[43] المصدر نفسه، مج2، ص 354.

في إجالة فكره فيما به صلاح دولته..."[44].

أما النوع الثالث من مصادره فهي، **الكتب المدونة**، ولاسيما كتب معاصريه وشيوخه التي أطلع عليها، وأقتبس منها مادته، وعلى الرغم من أن المقريزي عهد على نفسه أن يذكر مصادره، إلا أن منهجه في الإشارة إلى تلك المصادر لم يكن على نسق واحد بل فيه تباين، فأحياناً يذكر أسم المؤلف دون كتابه، وفي بعض الأحيان يذكر أسم الكتاب دون مؤلفه، وفي أحايين أخرى يذكر أسم المؤلف وكتابه معاً، أو لا يذكرهما، فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما ذكر ترجمة السلطان أبو سالم إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن علي المريني، ملك فاس والمغرب الأقصى، أشار في نهاية ترجمته بأنه"أخذت هذه الترجمة وغيرها من أخبار بني مرين" من أستاذه ابن خلدون[45]، كما أنه اعتمد على ما دوّنه بعض علماء ومؤرخي عصره عما يجري في بلدانهم من الحوادث، وتراجم أعلامهم، فمثلاً عندما ذكر ترجمة السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي العباس أحمد الحفصي، ملك تونس وعامة أفريقية، أكد بأن الأديب الكاتب الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الحق السبتي (ت836هـ/ 1432م)، هو الذي كتب له بعض أخبار ذلك السلطان وبعثها له[46].

كما يعد كتاب"الإحاطة في أخبار غرناطة" للوزير لسان الدين ابن الخطيب مصدراً آخر للمقريزي عن النخب المغاربية، حيث اعتمد عليه وأقتبس منه بعض الجمل والعبارات، ودمجها مع الترجمة التي لديه من مصادر أخرى، وبذلك تكون لديه ترجمة انفرد بها عن الآخرين، وقد صرح مرة واحدة بذلك في ترجمة أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون، ومن خلال المقارنة بين تلك الترجمتين تبين بأن المقريزي نقل قسم من تلك الترجمة حرفياً منه بدون أن يزيد عليها شيئاً[47]، كما صرح في ترجمة فخر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن التونسي (ت803هـ/1400م) بأنه أخذ ترجمته من"معجم العسقلاني" أي كتاب المجمع المؤسس لابن الحجر العسقلاني، ومن خلال المقارنة تبين أن هناك تشابهاً بينهما في تفاصيل تلك الترجمة، أي أن المقريزي نقل تلك الترجمة بصورة كاملة وحرفياً من ذلك كتاب[48].

---

[44] المصدر نفسه، مج2، ص 287.

[45] درر العقود الفريدة ، مج1، ص 117.

[46] المصدر نفسه، مج2، ص 288.

[47] ينظر: لسان الدين ابن الخطيب الأندلسي (ت776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة،ط2، حققه:محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، (القاهرة:1973)، مج3، ص ص 497-516؛ المقريزي، درر العقود الفريدة ، مج2، ص ص 383-410.

[48] ينظر: ابن حجر العسقلاني، المجمع المؤسس، مج2، ص ص455-456؛ المقريزي، درر العقود الفريدة ، مج3، ص 268.

2-2- النخب السياسية:

يعد كتاب"درر العقود الفريدة" من المصادر المهمة لا سيما بالنسبة لأخبار النخب السياسية في بلاد المغرب، حيث شغلت أخبارهم مكانة متميزة عند المقريزي، ويعود ذلك إلى أنه كان مهتماً بتراجم النخب السياسية في بلاد المغرب. وعند الاطلاع على تلك التراجم تبين وجود اختلاف بينهم من حيث الاختصار والتفصيل الخبري، وإيراد الوقائع بدقة، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى تنوع مصادره التي أستقى منها تراجمه، كأن تكون نصوصاً مدونة، أو روايات شفوية، فضلاً عن مشاهداته الميدانية، فأسهم كل ذلك في تكوين تراجم النخب السياسية في بلاد المغرب.

ومن خلال استعراض تلك التراجم تبين أنه اهتم كثيراً بتراجم سلاطين وأمراء **دولة بني مرين** (668-869هـ/1269-1465م)، حيث أورد عنهم إحدى عشرة ترجمة[49]، فضلاً عن أخبار دولتهم، ويأتي في مقدمة تلك التراجم، ترجمة السلطان أبو سالم إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن علي المريني، إذ أورد فيها نسب بني مرين وأصلهم، فقد أكد بأنهم ينتمون إلى مجموعة قبائل زناتة البربرية، وأنهم يتكونون من ثمانية بطون، ثم ذكر أسماء أوائل أمراءهم وما جرى من الأحداث في عهدهم، وكيف أستغل السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني (656-685هـ/1258-1286م) ضعف دولة الموحدين (454- 668هـ/1062-1269م) وتأسيس دولة بني مرين في المغرب الأقصى سنة (668هـ/1269م)، وبعد ذلك أورد أسماء سلاطينهم وما قاموا به من الأعمال إلى عهد السلطان أبو سالم إبراهيم - صاحب الترجمة- وكيف أستطاع الأخير استلام حكم بني مرين وما قام به من الأعمال، ثم أنه عين ابن خلدون كاتب سره، وكيف قتل السلطان أبو سالم بيد النصارى[50].

وتولى الأمر من بعده السلطان أبو عمر تاشفين ابن السلطان أبي الحسن علي المريني (762-763هـ/1361-1362م) وأكد المقريزي بأن مدة حكمه كانت "نحو شهرين تحت الحجر"[51]، ثم جاء بعده السلطان أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن ابن السلطان أبي الحسن علي المريني(763-767هـ/1362-1365م) وذكر المقريزي بأن الوزير عمر بن عبد الله (ت767هـ/1366م) قد أستبد بأمر المملكة (حتى بلغ بالحجر على السلطان أبي زيان مبلغ الحجر على السفهاء من الصبيان)[52].

---

(49) ينظر: درر العقود الفريدة ، مج1، ص ص 112-123، 371-376، 489-490؛ مج2، ص ص 218-221، 268-278، 413-418؛ مج3،ص ص 212-214، 216_217، 217، 295-310، 476-478.

(50) المصدر نفسه، مج1، ص ص 112-123.

(51) المصدر نفسه، مج1، ص ص 489-490.

(52) المصدر نفسه، مج3، ص ص 212-214.

وفي ترجمة السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن علي المريني (767-774هـ/1365-1372م) كرر المعلومات عن أمراء بني مرين الأوائل وما جرى من الأحداث في عهدهم، وكيف أسسوا دولتهم في المغرب الأقصى، ثم تطرق بعد ذلك إلى الأحداث التي جرت في عهد السلطان أبو فارس، حيث أكد المقريزي بأنه "أضطرم المغرب الأوسط ناراً" في عهده، إلا أنه في الأخير ثبت قدمه في ملكه[53].

علاوة على ذلك، ترجم المقريزي لعدد آخر من سلاطين دولة بني مرين وذكر فيها ما جرى من الأحداث في عهدهم، منهم: السلطان السعيد محمد ابن السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني (774-776هـ/1372-1374م)[54]، والسلطان أبو العباس أحمد ابن السلطان أبو سالم إبراهيم المريني(776-786هـ/1374-1384م)[55]، والسلطان أبو حمو موسى ابن السلطان أبي عنان فارس المريني(786-788هـ/1384-1386م)[56]، والسلطان أبو عبد الله الواثق محمد ابن الأمير أبي الفضل محمد ابن السلطان أبي الحسن علي المريني(788-789هـ/1384-1387م)[57]، وغيرهم من السلاطين وأمراء دولة بني مرين[58].

ومن الجدير بالذكر أن المقريزي قد صرح بأنه أخذ أغلب تراجم سلاطين وأمراء دولة بني مرين من كتاب أستاذه ابن خلدون، ومن خلال المقارنة بين تلك التراجم في الكتابيين تبين بأن المقريزي قد نقل قسم من تلك التراجم حرفياً من ذلك الكتاب بدون أن يزيد عليها شيئاً، ودمجها مع المعلومات التي لديه من مصادر أخرى، وبذلك تكون لديه ترجمة انفرد بها عن الآخرين[59].

كما أورد المقريزي في كتابه (درر العقود الفريدة) تراجم بعض الأمراء والسلاطين **الدولة الحفصية** (625-893هـ/1227-1487م)، منهم: السلطان أبو العباس أحمد ابن الأمير أبي عبد الله محمد ابن السلطان أبي بكر الهنتاتي المصمودي الحفصي (772-796هـ/1370-1393م) صاحب مملكة إفريقية وتونس، حيث وصفه المقريزي بأنه "كان ملكاً حازماً عارفاً بأمور المملكة... وكان صاحب شارةٍ وفخامة وضبطٍ وإمساكٍ عن العطاء إلا فيما

---

[53] المصدر نفسه، مج2، ص ص 268-278.
[54] درر العقود الفريدة ، مج3، ص ص 295-310.
[55] المصدر نفسه، مج1، ص ص 371-376.
[56] المصدر نفسه، مج3، ص ص 476-478.
[57] المصدر نفسه، مج3، ص ص 216-217.
[58] المصدر نفسه، مج2، ص ص 218-221، 413-418؛ مج3،ص 217.
[59] ينظر: أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ/ 1405م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، (بيروت: 200)، ج7،ص ص 79-557؛ ينظر: درر العقود الفريدة ، مج1، ص ص 112-123، 371-376، 489-490؛ مج2، ص ص 218-221، 268-278، 413-418؛ مج3،ص ص 212-214، 216_217، 217، 295-310، 476-478.

لابدّ منه، مع العبادة والنسك"، وأورد فيها ما جرى من الأحداث في عهده[60]، كما ترجم للسلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي العباس أحمد الحفصي، إذ أورد فيها عن أصل الحفصين، وأنهم ينتمون إلى الهنتاتي، وهي إحدى بطون المصامدة- قبيلة بربرية-، ثم ذكر أسماء أوائل أمراءهم وما جرى من الأحداث في عهدهم، وكيف أسسوا دولتهم في إفريقية وتونس، وبعد ذلك أورد أعمال السلطان أبو فارس عبد العزيز- صاحب الترجمة- حسب سنيين، ثم أكد بأنه "كان خير ملوك الزمان همّة ويقظة ومعرفة وديانة وحسن سياسة"[61]. أما الأمير أبي عبد الله محمد ابن الأمير أبي يحيى زكريا ابن الأمير أبي عبد الله محمد ابن السلطان أبي بكر الهنتاتي المصمودي الحفصي (ت812هـ/1409م) صاحب بلدة العناب[62] فقد أورد المقريزي ترجمته، وأكد فيها بأنه كان ثائراً على (ابن عمه السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي العباس أحمد ابن الأمير أبي عبد الله، وبسبب ثورته كان خراب بلاد المغرب وتلاف بني مرين ملوك فاس)[63].

فضلاً عن ذلك، أورد المقريزي تراجم بعض الأمراء والسلاطين **الدولة بنو عبدالواد (بنو الزيان)** (633-866هـ/1235-1461م)، منهم: السلطان أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان(707-792هـ/1307-1389م) ملك تلمسان[64] والمغرب الأوسط، إذ أورد فيها نسب بني عبدالواد وأصلهم، فقد أكد بأنهم بطن من بطون قبيلة زناتة البربرية، ثم ذكر أسماء أوائل أمراءهم وما جرى من الأحداث في عهدهم، وكيف أستغل الأمراء بنو عبدالواد الظروف وأسسوا دولتهم في المغرب الأوسط، وبعد ذلك أورد أعمال السلطان أبو حمو موسى - صاحب الترجمة- وكيف أستطاعت دولة بني مرين في سنة (737هـ/1337م) أن تسقط دولة بنو عبدالواد"برهة من الدهر" أي إلى سنة (761هـ/1359م)[65]، كما ترجم للسلطان أبو زيان محمد ابن السلطان أبي سعيد عثمان ابن السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان (760-761هـ/1358-1359م) الذي حكم تلمسان في فترة حكم بني مرين، حيث أورد فيها أخبار الصراع الذي نشب بينه وبين ابن عمه السلطان أبو حمو موسى على السلطة[66]. أما السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن ابن السلطان أبو حمو

[60] المصدر نفسه، مج1، ص ص 244-247.
[61] درر العقود الفريدة ، مج2، ص ص 278-292.
[62] بلدة العناب: لم يعثر على تعريفها فيما توافر للباحث من مصادر ومراجع.
[63] المصدر نفسه، مج3، ص ص236-247.
[64] تلمسان: مدينة مشهورة بالمغرب، مسورة في سفح الجبل، ولها ثلاثة عشر باباً، وهي قاعدة مملكة بني عبد الواد من زناتة، ولها حصون كثيرة، ولها مياه سائحة.للمزيد عنها ينظر: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود الأيوبي(ت 732هـ/ 1331م) المعروف بأبو الفداء، تقويم البلدان، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة: 2006)،ص 155.
[65] درر العقود الفريدة ، مج3، ص ص480-496.
[66] المصدر نفسه، مج3، ص ص 312-314.

موسى بن يوسف (792-795هـ/1389-1392م) فقد أورد المقريزي في ترجمته ما جرى من الأحداث في عهده[67]، كما ترجم للسلطان أبو زيان محمد ابن السلطان أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن (796-808هـ/1393-1405م) ملك تلمسان، حيث وصفه المقريزي بأنه كان "ملكاً جليلاً فاضلاً"، وأورد فيها ما جرى من الأحداث في عهده[68].

علاوة على ذلك، فقد ترجم المقريزي لآخر أمراء **دولة بني ثابت** (727-803هـ/1326-1400م) وهو يحيى بن أبي بكر بن محمد بن ثابت بن عمار الركوجي العجيسي البربري الطرابلسي المغربي (800-803هـ/1397-1400م) صاحب طرابلس الغرب[69]، إذ ذكر فيها أسماء أوائل أمراءهم وما جرى من الأحداث في عهدهم، ثم أكد بأن بنو ثابت "كانوا ذوي أفضال وكرم"، وأنهم ملكّوا طرابلس أكثر من سبعين سنة[70].كما أنه ترجم للأمير الرئيس أبو العباس أحمد بن يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن أحمد ابن الحسن بن علي بن مزني البسكري المغربي (767-804هـ/1365-1401م) آخر أمراء **دولة بني مزني** (683-804هـ/1284-1401م) أصحاب الزاب[71]، إذ أورد فيها نسب بني مزني وأصلهم، فقد أكد بأنهم من الأعراب الواصلين الى إفريقية مع بنو هلال في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ثم ذكر فيها أسماء أوائل أمراءهم وما جرى من الأحداث في عهدهم[72].

3-2- النخب الإدارية:

أورد المقريزي في كتابه "درر العقود الفريدة" عدد من تراجم النخب الإدارية في بلاد المغرب، كما أنه أتى بمعلومات أخرى عنهم- بشكل غير مباشر- ضمن التراجم الأخرى، لذا جاءت أخبارهم بشكل غير متكامل، بل اكتفى بالإشارة إلى أسمائهم مع ذكر نشاطات البعض منهم ضمن ترجمة واحدة أو عدّة التراجم، إذ أن معلوماته عن النخب الإدارية في بلاد المغرب وتحديد المدة الزمنية لتوليهم الوظائف والمناصب الإدارية كانت مبتورة، وذلك بسبب تجزئة مجمل تلك النشاطات ضمن عدّة التراجم أو عدم ذكره لها

---

(67) درر العقود الفريدة ، مج2، ص ص 259-260.

(68) المصدر نفسه، مج3، ص ص 315-318.

(69) طرابلس الغرب: مدينة على البحر مبنية بالصخر خصبة واسعة الكورة حصينة جداً، وليس بها ماء جار، وهي آخر المدن التي تقع في شرقي القيروان. للمزيد عنها ينظر: أبو الفداء، تقويم البلدان،ص 170.

(70) درر العقود الفريدة ، مج3، ص ص523-524.

(71) الزاب: كورة كبيرة من عمل إفريقية تقع على أطراف الصحراء، وهو مثل إفريقية في حر هوائها وكثرة نخيلها، وهو مدن كثيرة وأنظار واسعة، وفيها الأنهار والعيون الكثيرة، ومن مدنها:المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة وغيرها. للمزيد عنها ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري(ت 727هـ/ 1326م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، (بيروت:1984)، ص ص281-282.

(72) درر العقود الفريدة ، مج1، ص ص316-317.

تعد **الوزارة** من الوظائف العليا في الهرم الإداري في الدول والإمارات المغربية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، إذ ترجم المقريزي لبعض الشخصيات المغربية التي تولت تلك الوظيفة في بلاد المغرب كالأمير أبو بكر بن غازي بن يحيى بن الكاس (ت779هـ/1377م) وزير بني مرين، إذ أورد فيها معلومات عن أصل بني الكاس، وأشار بأنهم أحدى بطون بني ورتاجن، الذين كان لهم سبق في تولي وظيفة الوزارة، إذ كان أبوه -غاز بن يحيى بن الكاس (ت741هـ/1340م)- وزيراً للسلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني(731-749هـ/1331-1348م)، وبعد ذلك أشار المقريزي بأن أبو بكر- صاحب الترجمة- ترقى في الخدم حتى وصل الى رتبة الوزير سنة (768هـ/1366م) في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن علي المريني، ولما مات الأخير قام ببيعة ولده السلطان السعيد محمد ابن السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني، وهو صبي، لذا أستبد بأمر المملكة "وحجره عن التصرف... واستقل بأمر المغرب إبراماً ونقضاً"الى سنة (776هـ/1374م)، عندها ملكَ السلطان أبو العباس أحمد ابن السلطان أبو سالم إبراهيم المريني بملك المغرب، ثم أكد بأنه كان معارضاً لحكم الأخير حتى قتل في سنة (779هـ/1377م)[73].

كما ترجم المقريزي للوزير المُقري والحاجب المعظم[74] أبو محمد عبد العزيز بن محمد اللبابي المغربي(ت824هـ/1421م) وزير الدولة الحفصية، إذ أورد فيها المقريزي بأنه أصبح في سنة (814هـ/1411م) كاتباً للسلطان المخلوع السعيد محمد ابن السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن علي المريني في سنة (776هـ/1374م) حيث جاء الى الحكم المريني للمرة الثانية في سنوات (813-816هـ/1410-1413م)، ثم أكد بأن السلطان فوض إليه الوزارة[75]، وفي رواية أخرى أنه فوض إليه وظيفة الحجابة[76]، وجعل إليه جميع أمور المملكة، ثم وصفه المقريزي في نهاية الترجمة بأنه "كان هو أديباً شاعراً كاتباً مُترسلاً يكتب الرسائل الجيدة بديهاً فيبلغ المراد، ويعبر عن المقصود بعبارة المتوسطة في البلاغة، مع الكرم والإقدام والشجاعة، والجرأة على سفك الدماء الكثيرة، وجودة التدبير، وكثرة الدهاء

---

(73) درر العقود الفريدة ، مج1، ص ص133-135.

(74) طرأ على منصب الوزير شيء من التعديل في بلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، فأصبحت مهام الوزير هي نفس مهام الحاجب، وأصبح يطلق على الحاجب أسم الوزير وعلى الوزير أسم الحاجب. للمزيد عن ذلك ينظر: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون(ت 808هـ/ 1405م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية،(بيروت:2005)،ص ص220-222، 226؛ محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم، (الكويت:1987)،ص ص266-267.

(75) درر العقود الفريدة ، مج2، ص ص312-313.

(76) المصدر نفسه، مج2، ص 415.

وهو أحد أسباب تلف دولة بني مرين بفاس"[77].

علاوة على ذلك، فقد أشار المقريزي - بين ثنايا تراجم النخب المغربية- الى بعض أسماء الوزراء الاخرى في بلاد المغرب، مع ذكر بعض أعمالهم والأحداث التي شاركوا فيها، فعلى سبيل المثال لا الحصر: الوزير الحسن بن عمر(ت761هـ/1360م) الذي كان وزيراً للسلطان أبو عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن علي المريني(749-759هـ/1348-1358م)[78]، والوزير عمر بن عبد الله بن علي، الذي كان وزيراً للسلطان أبو عمر تاشفين ابن السلطان أبي الحسن علي المريني[79]، الوزير مسعود بن رحو بن علي بن عيسى بن ماساي (ت789هـ/1387م) وزير السلطان أبو العباس أحمد المريني والسلطان أبو حمو موسى المريني [80]، وغيرهم من الوزراء المغربية الذين أشار إليهم المقريزي [81].

كما ترجم المقريزي لعدد من النخب المغربية الذين تولوا وظيفة **الحجابة** في الدول والإمارات المغربية، فعلى سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أبو العباس أحمد ابن الرئيس أبي الحسن علي القبائلي(803هـ/1400م) الذي تولى وظيفة الحجابة في الدولة المرينية أيام السلطان أبو حمو موسى ابن السلطان أبي عنان فارس المريني (786-788هـ/1384-1386م)، واستمر في تلك الوظيفة الى عهد السلطان أبي سعيد عثمان ابن السلطان أبو العباس أحمد المريني (800-823هـ/1398-1420م)، إذ أورد فيها بأن جده كان كاتباً لخلفاء الدولة الموحدين، ثم أكد بأن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني قد ولى والده وظيفة العلامة[82]، وذكر بأن شيخ أبو العباس أحمد- صاحب الترجمة- قد باشر الأعمال في باب السلطان أبو حمو موسى، واستطاع أن يستمر في وظيفته كالحاجب خلال عهود سلاطين الدولة المرينية الآخرين، ثم وصفه المقريزي بأنه كان"حسن السياسة، مجتهداً في العمارة، ناهضاً بأعباء الدولة، فكانت الأوطان في أيامه عامرةً، وجباياتها دارةً، والرعايا في نعمة غامرة، والملوك الدانية والقاصية تخشى بأسه وترغب في إحسانه"[83]. كما أشار المقريزي في ترجمة أستاذه ابن خلدون الى أنه تولى وظيفة الحجابة في دولة بني عبدالواد للسلطان أبو حمو موسى بن يوسف بن

---

[77] درر العقود الفريدة ، مج2، ص 314.
[78] ينظر :المصدر نفسه، مج1، ص ص116، 122؛مج2، ص ص 273-274.
[79] ينظر:المصدر نفسه، مج1، ص 489؛ مج2،ص 245، 274-276، 390؛ مج3،ص 213-214.
[80] ينظر:المصدر نفسه، مج1، ص122،117،373؛ مج3،ص 213، 217، 295، 477-478.
[81] على سبيل المثال لا الحصر ينظر :المصدر نفسه، مج1، ص ص 134، 372؛ مج2،ص ص 276،312، 390، 417، 418؛ مج3،ص ص 239-247، 301،303، 304، 313، 489.
[82] صاحب العلامة: يتولى الكتابة بخطه نيابة عن السلطان ويضع علامته على الكتب الرسمية. للتفصيل عنها ينظر: أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية:د.ت)، ص305.
[83] درر العقود الفريدة ، مج1، ص ص215-219.

عبد الرحمن صاحب تلمسان[84].

4-2- النخب الدينية:

تطرق المقريزي في كتابه "درر العقود الفريدة" إلى الوظائف الدينية التي تولتها النخب المغاربية في بلاد المغرب وبلاد الشام ومصر وحجاز خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، إذ تعد من الوظائف المهمة التي حظيت بحرمة كبيرة لدى سلاطين وملوك الدول والإمارات المغربية وسلاطين المماليك، وكانت من وظائف أصحاب القلم، لذا كانت فرص الحصول عليها كبيرة بالنسبة للعلماء ونخب المغربية ذوي الكفاءة، ولعل أبرز تلك الوظائف **قاضي القضاة**[85]، حيث ذكر المقريزي في ترجمة أستاذه ابن خلدون بأنه تولى وظيفة قاضي القضاة المالكية[86] بمصر في سنة (786هـ/1384م) وأنه " قام بذلك قياماً محموداً، ودفع رسائل الأمراء، وردّ شفاعات الأكابر"، وبسبب ذلك كثرة شكوى الأمراء عليه فصرفه السلطان المملوكي الملك الظاهر برقوق (784-802هـ/1382-1399م) عنها سنة (787هـ/1385م)، ثم ذكر بأنه أعيد إلى منصبه سنة (801هـ/1398م)، وبعد ذلك أشار الى أنه صرف عنها وأعيد في سنة (803هـ/1400م)، ثم أكد بأنه صرف وأعيد مرات عدة خلال سنوات (804-808هـ/1401-1405م)، حتى توفي وهو قاضي قضاة[87].

كما ترجم المقريزي للعديد من النخب المغربية الذين تولوا المناصب القضائية في مختلف مناطق بلاد الشام والديار المصرية والحجاز أبان العهد المملوكي منهم: القاضي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن علي المسلاتي المالكي (ت 771هـ/ 1369م) الذي كان قاضياً على دمشق، ولم يحدد المقريزي بداية ومدة بقاءه في تلك الوظيفة، بل ذكر أنه أقام بدمشق

---

(84) المصدر نفسه، مج2، ص 392.

(85) تعد وظيفة قاضي القضاة في تلك القرنين من أرفع الوظائف الدينية قدراً وأجلها رتبة، بحيث لا تتقدم عليها أية وظيفة دينية أخرى لعلو شأنها وسعة صلاحيتها، فهي ((أعظم الأركان وقعاً وأعمها نفعاً وعليهم مدار مصالح الأمة عقلاً وشرعاً))، ويليه منصب القاضي ثم نوابه. ينظر: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي(ت 821هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1987)، ج4، ص 35؛ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري(ت 873هـ/ 1468م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، عني بتصحيحه: بولس راويس، مطبعة الجمهورية، (باريس: 1894)، ص90. للتفصيل عن تلك الوظيفة ينظر: ابن أبي الدم، أدب القضاء، تحقيق: محيي هلال السرحان، (بغداد: 1984)؛ محمود محمد عرنوس، تاريخ القضاء في الإسلام، (القاهرة: 1933).

(86) اقتصّرت وظيفة قاضي القضاة في عهد الدولة الأيوبية على المذهب الشافعي، وكان القاضي ونوابه أيضاً من الشافعية، بينما شملت في العهد المملوكي على المذاهب السنة الأربع: الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي في مصر وبلاد الشام منذ عهد السلطان المملوكي الملك الظاهر بيبرس(658-676هـ/1260-1277م). للمزيد عن ذلك ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص ص 36 – 37؛ علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ط3، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: 1967)، ص ص 371 – 375.

(87) درر العقود الفريدة ، مج2، ص ص395-398.

نحو أربعين سنة[88]، كما ترجم للقاضي زين الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الر حمن ابن الحفيد المعروف بإبن السجلماني المغربي المالكي (ت 789هـ/ 1387م)، الذي تولى قضاء المالكية بحلب[89]، دون أن يحدد بداية ومدة مباشرته لذلك المنصب، أما القاضي برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي الصنهاجي المالكي (ت 796هـ/ 1393م) فقد أشار إليه المقريزي بأنه ولي قضاء المالكية بدمشق مرتين[90]، ثم أكد بعد ذلك بأنه نقل الى قضاء حلب[91]، كما ترجم للقاضي رضي الدين أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن أبي عبد الله محمد المعروف بالشريف الحسني الفاسي المكي المالكي (ت 824هـ/ 1421م) وأكد بأنه تولى قضاء مكة في شوال سنة (817هـ/ 1414م)، وأنه صرف عنها في ذي القعدة سنة (818هـ/ 1415م)[92].أما القاضي تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الشريف الحسني(ت 832هـ/ 1428م) فقد أشار إليه المقريزي بأنه ولي قضاء المالكية بمكة، ثم أكد بأنه صرف وأعيد مرات عدة إليها خلال السنوات (807-820هـ/1404-1417م)[93].

علاوة على ذلك، فقد ترجم لعدد من النخب المغربية الذين تولوا وظيفة نائب القاضي منهم: قاضي ناصر الدين محمد بن محمد بن أبي القاسم التونسي المالكي(ت763هـ/1361م) الذي كان نائباً للقاضي المالكية بالحسينية خارج القاهرة [94]، دون أن يحدد بداية ومدة بقاءه في تلك الوظيفة، كما ترجم للقاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي ثم المكي المالكي (ت 819هـ/1416م) الذي تولى نيابة قاضي المالكية بمكة، ولم يحدد المقريزي بداية ومدة مباشرته لذلك المنصب، بل ذكر أنه باشر الحرم المكي زيادة على خمسين سنة[95].

ومن الوظائف الدينية الأخرى وظيفة **الخطابة**؛ التي تعد من الوظائف الدينية الجليلة، فقد تطرق الى بعض تراجم النخب المغربية الذين تولوا تلك الوظيفة في بلاد المغرب خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، منهم: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق

---

(88) المصدر نفسه، مج1، ص 188.

(89) المصدر نفسه، مج2، ص 224.

(90) ذكر المقريزي بأنه ولى في المرة الأولى سنة (778هـ/1376م) ولم يذكر المرة الثانية، وبينّ المحقق الكتاب الدكتور محمود الجليلي بأنه وجد تعليق تقي الدين أبو بكر بن أحمد المعروف بابن قاضي شهبة (ت 851هـ/ 1448م) على مسودة كتاب (درر العقود الفريدة) بأن ولايته الثانية كانت في سنة(780هـ/1378م) وأنه أستمر فيها إلى سنة(783هـ/1381م). ينظر: المصدر نفسه، مج1، ص 75، هامش(1).

(91) المصدر نفسه، مج1، ص ص74- 75.

(92) المصدر نفسه، مج3، ص ص 211، 234-235.

(93) المصدر نفسه، مج3، ص 123.

(94) درر العقود الفريدة ، مج3، ص 220.

(95) المصدر نفسه، مج1، ص 315.

المغربي التلمساني العجيبي المالكي(ت 781هـ/ 1379م) الذي ولى خطابة الجامع بفاس، ثم أكد بأن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني قد "جعله خطيباً، حيث يصلي من مساجد المغرب"، وبعد ذلك أشار الى أنه ولى خطابة الجامع بتونس(96)، كما ترجم للإمام والخطيب أبو الحسن محمد بن أحمد بن موسى بن عيسى الأنصاري المغربي التونسي البطرني (ت 793هـ/ 1390م) الذي كان خطيباً بجامع القصبة بتونس، ووصفه المقريزي بأنه كان "واسع الرواية، كثير الدراية، عالي الهمة، غزير المروءة، شريف النفس..."(97).

فضلاً عن ذلك، ترجم المقريزي لعدد من نخب مغربية أخرى تولت وظيفة **التدريس** في بلاد المغرب ومصر والحجاز خلال العهد المملوكي، فقد ذكر العديد منهم، ولعل أبرزهم:جمال الدين عبد الله السكسوني المغربي المالكي(ت801هـ/ 1398م) الذي كان يدرس في المدرسة الأشرفية بالقاهرة (98) كما ترجم للعالم المغربي أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي (ت 803هـ/ 1400م) الذي كان يدرس في بلاد إفريقية، إذ أكد بأن له سمعة وشهرة واسعة بتدريس في تلك الأقطار(99)، أما أستاذه ابن خلدون فقد أشار المقريزي في ترجمته الى أنه درس في الجامع الأزهر، ثم ولاه السلطان المملوكي الظاهر برقوق تدريس المدرسة القمحية(100)؛ التي هي أجل مدارس الفقهاء المالكية حينذاك بديار مصر(101).

كما ترجم لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المالكي المعروف بالوانوغي (ت 819هـ/ 1416م) الذي ذكر فيها بأنه درس بمكة والمدينة المنورة سنين عديدة(102)، كما أشار إلى غيرهم من النخب المغربية الذين تولوا تلك الوظيفة(103).

2-5- النخب العلمية:

أسهب المقريزي في كتابه "درر العقود الفريدة" التطرق إلى تراجم النخب العلمية المغربية في بلاد المغرب وبلاد الشام ومصر والحجاز خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، إذ شاركت النخب المغربية من العلماء والفقهاء مشاركة فعالة في الحياة العلمية، حيث ذكر المقريزي الكثير من تلك النخب التي كانت لها باعاً طويلاً في

---

(96) المصدر نفسه، مج3، ص ص 235-236.

(97) المصدر نفسه، مج3، ص ص 214-216.

(98) المصدر نفسه، مج2، ص ص 353-354.

(99) المصدر نفسه، مج3، ص 223.

(100) المدرسة القمحية: بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (566هـ/1170م)بجوار جامع العتيق بمصر، وخصصها لفقهاء المالكية، ووقف عليها قيسارية الوراقين وضيعة بالفيوم، وهي أجل مدارس للفقهاء المالكية بديار مصر.للمزيد ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية،ج4،ص201.

(101) درر العقود الفريدة ، مج2، ص395.

(102) المصدر نفسه، مج3، ص ص 206-207.

(103) ينظر :المصدر نفسه، مج1، ص 315؛ مج3،ص ص 80-81، 123-124، 235-236.

مختلف الميادين والفروع العلمية وبرعوا فيها.

ومن أهم المجالات العلمية التي برز فيها النخب المغربية في تلك الفترة هي **العلوم الدينية**, منها **علوم القرآن الكريم**، حيث ترجم المقريزي لعدد من النخب المغربية الذين اهتموا **بعلم القراءات** خلال تلك الفترة، وظهر من بينهم عدد ممن بروزا فيه، منهم: المقرئ أبو زكريا يحيى بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيني المغربي المالكي (ت772هـ/ 1370م) الذي كان عارفاً بالقراءات إلى جانب معرفته بالعلوم الأخرى[104]، كما ترجم للمقرئ قاسم بن محمد بن إبراهيم المغربي الأصل النويري المالكي(ت 799هـ/ 1396م) وأكد بأنه "كان له صوت شجيٌ وطريقة في القراءة مطربة إن تأنّى أو سرد"[105] أما المقرئ الأستاذ أبو يوسف يعقوب بن محمد الحلفاوي الصنهاجي المغربي (ت824هـ/1421م) فقد ذكر المقريزي بأنه اشتهر بالقراءات وبرع فيها[106]، علاوة على ذلك ترجم لعدد آخر من النخب المغربية الاخرى الذين اهتموا بذلك العلم [107].

كما ترجم المقريزي للعديد من النخب المغربية ممن أعتنوا **بعلم الحديث**، حيث أنكب بعضهم على سماع وجمع وضبط الأحاديث وأسماعها وإملائها حتى اشتهروا كمحدثين، ومن أبرزهم: المحدث أحمد بن محمد بن الحسن ابن الإمام المرصدي الجزائري(ت760هـ/1358م) الذي سمع الحديث من مشاهير الشيوخ بلاده، وحدث عنهم[108]، كما ترجم للمحدث تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين الحميري المغربي الأصل البعلي ثم الدمشقي (ت 788هـ/ 1386م) وأكد فيها بأنه سمع الحديث من مشاهير علماء عصره، وحدث عنهم[109]، أما المحدث جمال الدين أبو المحاسن محمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد بن محمد بن عبد الله المراكشي ثم المكي الشافعي (ت823هـ/1420م) فكان من المحدثين المغاربة الذي رحل إلى العديد من المدن من أجل طلب الحديث وسمع بها كدمشق وبعلبك وحمص وحماه والقدس والقاهرة والإسكندرية، حتى أصبح متقدماً في علم الحديث، بحيث أثنى عليه المقريزي وأكد بأنه "كان ثقة، حُجة في نقله وضبطه..."[110]، فضلاً عن النخب المغربية أخرى الذين ترجم لهم المقريزي ممن اهتموا بذلك العلم[111].

وأورد المقريزي تراجم عددٍ كبيرٍ من العلماء والفقهاء المغاربة الذين

---

[104] المصدر نفسه، مج3، ص 522.
[105] المصدر نفسه، مج3، ص21.
[106] المصدر نفسه، مج3، ص538.
[107] ينظر :المصدر نفسه، مج3، ص ص215، 223-224.
[108] درر العقود الفريدة ، مج1، ص271.
[109] المصدر نفسه، مج1، ص357.
[110] المصدر نفسه، مج3، ص360.
[111] ينظر:المصدر نفسه، مج1،ص382،66؛مج2،ص500-501؛ مج3، ص ص220، 441،268.

اشتهروا **بعلم الفقه** خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، منهم: القاضي برهان الدين أبو سالم إبراهيم الصنهاجي المالكي، الذي أكد بأنه "كان عالماً بالفقه والأصلين والعربية"[(112)]، كما ترجم للفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي، الذي "كان واسع المعرفة بالتفسير والفقه والأصول والعربية" ثم أكد بأن له بعض الشروح والمصنفات الفقهية منها كتاب في الفقه جمع فيه أحكام مذهب مالك في سبعة أسفار، وشرح على ((مسلم))، وغير ذلك [(113)]، أما السيد الشريف الفقيه المفتي تقي الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن محمد الحسني الفاسي ثم المكي المالكي(ت 805هـ/ 1402م) فقد أكد المقريزي بأنه أشتغل بالفقه وكان فيه نبيهاً، وشارك في غيره من العلوم وبرع فيها، وأفتى عدّة سنين بلغ نحو أربعين سنة[(114)]، كما ترجم للفقيه لأبي عبد الله محمد بن أحمد الوانوغي التونسي المالكي، الذي "عرف الفقه معرفة جيّدةً، وكان إذا رأى شيئاً وعاهُ وقرّره وإن لم يكن له به معرفة لما منحه من الذكاء وقوّة الفهم"[(115)]، علاوة على ذلك ترجم المقريزي لعدد آخر من النخب المغربية الذين اشتهروا بذلك العلم[(116)].

أما **علم التصوف**[(117)] فيعد من العلوم الدينية التي شهدت إزدهاراً ملحوظاً في بلاد المغرب وبلاد الشام ومصر، حيث ترجم المقريزي لبعض النخب المغربية الذين سلكوا مسلك الصوفية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، منهم: الشيخ عيسى بن محمد بن عبد الله الهكسوري المغربي (ت 763هـ/ 1361م) الذي كان من شيوخ الهساكرة، ثم أكد بأنه "كان من أرباب المناقب، وأصحاب الأحوال الجليلة"[(118)]، كما ترجم للشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد الجديدي القيرواني(ت 787هـ/ 1385م) الذي أكد فيها بأنه قد "انقطع لعبادة الله، فظهرت له كرامات ظاهرة، واجتمع عليه طائفة كبيرة بزاوية ابتناها، وهرع الكافة إليه، فعظم شأنه، ونفع الله به الناس.."[(119)]، أما الشيخ أبو زيان ناصر بن أحمد بن يوسف بن منصور بن فضل البسكري المغربي المالكي

---

(112) المصدر نفسه، مج1، ص75.

(113) المصدر نفسه، مج3، ص ص 224-225.

(114) المصدر نفسه، مج2، ص251.

(115) درر العقود الفريدة ، مج3، ص207.

(116) ينظر :المصدر نفسه، مج1، ص ص275-276، 315؛ مج2،ص 224؛ مج3، ص ص21، 80، 100، 200، 207، 215، 539.

(117) للتفصيل عن التصوف ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ص 449-459؛ عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، (دمشق: 1993) ؛ ماسينيون، مادة (التصوف)، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة وتحرير: أحمد الشنتناوي وآخرون ، دار المعرفة، (بيروت: د.ت)، ج5، ص ص 265 – 266.

(118) درر العقود الفريدة ، مج2، ص556.

(119) المصدر نفسه، مج3، ص ص 169-170.

(ت823هـ/1420م) فقد أكد المقريزي بأنه كان (من جملة الصوفية بخانكاه شيخو[120])" [121]، فضلاً عن ذلك ترجم المقريزي لعدد آخر من النخب المغربية الذين سلكوا مسلك الصوفية[122].

ومن العلوم الأخرى التي أشار إليها المقريزي بأن بعض النخب المغربية في بلاد المغرب ومصر والحجاز قد برزوا فيها خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، هي **العلوم الإنسانية كالتاريخ** منهم: قاضي القضاة والمؤرخ ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون، الذي وصفه بأنه من "النخبة التي قلّ أن يأتي بمثلها الدهر، والتاج الذي علا قمم رؤساء العصر، بما انطوى عليه من غزير المعارف والعلوم..."[123]، وأكد بأن له عدة مصنفات أبرزها كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر)، حيث وصف ذلك الكتاب بقوله: "وهو لعمري نادرة عجيبة، ودرّة بديعة غريبة، سيما مقدمته التي لم يعمل عليها مثالها، وأنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، إذ هي زبدة المعارف والعلوم..."[124]، كما ورد في ترجمة الشيخ أبو زيان ناصر بن أحمد البسكري المغربي المالكي، بأنه (جمع مسودات ((تاريخ الرواة)) لو بيض لكان مئة سفر، وكان من أعرف الناس بالتراجم) ثم يضيف بأن تلك المسودات تلفت ولم ينتفع بها أحد[125]، أما القاضي تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد الفاسي، فقد أكد المقريزي في ترجمته بأنه ألف خمسة كتباً في تاريخ مكة، أكبرها " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام" في مجلدين، وكتاب عن تراجم سماه (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" في خمس مجلدات، وكتاب " إرشاد ذوي الأفهام الى تكميل كتاب الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي (ت 748هـ/ 1347م)، وغير ذلك من المصنفات التاريخية[126].

لم تقتصر مشاركة النخب المغربية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين على النواحي العلمية التي ذكرناها سابقاً، بل كان دورهم في مجال العلوم اللسانية بارزاً أيضاً، حيث ترجم مؤرخنا للعديد من العلماء والفقهاء المغاربة الذين اهتموا **بالعلوم اللسانية كاللغة العربية ونحوها** منهم: أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي، الذي برع في العربية والمعاني والبيان والفرائض وغير

---

(120) خانكاه شيخو: أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمري(ت 758هـ/ 1356م) في سنة (756هـ/1355م) خارج القاهرة تجاه جامع شيخو في خط الصليبة، ورتب بها دروساً لطوائف الفقهاء الأربعة، ووقف عليها الأوقاف الجليلة.للمزيد ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية،ج4،ص292.

(121) درر العقود الفريدة ، مج3، ص ص502-503.

(122) ينظر :المصدر نفسه، مج1، ص ص161-162؛ مج2،ص ص 91-92، 200، 317؛ مج3، ص ص343-344.

(123) درر العقود الفريدة ، مج2، ص 387.

(124) المصدر نفسه، مج2، ص 403.

(125) المصدر نفسه، مج3، ص ص 502-503.

(126) المصدر نفسه، مج3، ص ص 123-124.

ذلك من العلوم[127]، كما ورد في ترجمة يحيى بن محمد بن عبد الرحمن الأصبحي المغربي المالكي(ت 809هـ/ 1406م) بأنه كان "له معرفة بفنون، فمهر في العربية والشعر..."[128]، أما أبو عبد الله محمد بن أحمد الوانوغي التونسي المالكي، فقد أكد المقريزي في ترجمته بأنه "عني بالعلم فبرع في فنون مابين تفسير، وأصول، ومنطق، وعربية، وفرائض، وحساب..."[129].

كما ترجم المقريزي في كتابه "درر العقود الفريدة" للعديد من النخب المغربية الذين نبغوا في **الأدب العربي وخاصة الشعر**، منهم: الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد المعروف بإبن أبي حجلة المغربي(ت776هـ/ 1374م) الذي كان بارعاً بالأدب، ثم أكد بأنه صنف في الأدب كتباً، منها: ديوان الصبابة، وكتاب السكردان، وله شعر جيد[130]، كما ترجم للأديب جمال الدين عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله المغربي السوسي(ت 803هـ/ 1400م) الذي كان أديباً فاضلاً ماهراً، وله شعر منظم[131]، أما الأديب أصل الدين محمد بن إبراهيم بن علي بن يوسف الهنتاتي المراكشي المالكي(ت872هـ/1467م) فقد أكد المقريزي في ترجمته بأنه "يجيد نظم الشعر ويغوص على معانيه ولا يكاد يخفى عليه من دقائقه إلا اليسير"[132]، فضلاً عن هؤلاء، ترجم المقريزي لعدد آخر من النخب المغربية الذين اهتموا بالأدب العربي ولاسيّما الشعر[133].

يستشف من حصاد الفقرات السابقة بأن المقريزي قد بيّن في كتابه "درر العقود الفريدة" مساهمة النخب المغاربية في مختلف الميادين العلمية في بلاد المغرب وبلاد الشام ومصر والحجاز خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وأنه أكد بأن الصفة (الموسوعية) كانت هي الغالبة عليهم، إذ أشار إلى مشاركة بعضهم في أكثر من فرع من فروع العلم, كما أشار إلى البعض الآخر بأنهم إشتهروا من خلال نتاجاتهم العلمية المدونة، بحيث غدت بعضها من المصادر الأساسية في الموضوعات التي عالجتها.

---

(127) المصدر نفسه، مج3، ص223.
(128) المصدر نفسه، مج3، ص523.
(129) المصدر نفسه، مج3، ص207.
(130) درر العقود الفريدة ، مج1، ص331.
(131) المصدر نفسه، مج2، ص 345.
(132) المصدر نفسه، مج3، ص ص100-101.
(133) ينظر :المصدر نفسه، مج1، ص ص167، 315، 357؛ مج2،ص ص 354، 403؛ مج3، ص ص80، 360، 441، 523.

الخاتمة

1- كان المقريزي أحد المؤرخين الكبار البارزين خلال العهد المملوكي، حيث تتضح مكانته من خلال توثيقه للأحداث التي دونها في مؤلفاته ولاسيّما تراجم أعيان عصره التي دونها في كتابه "درر العقود الفريدة" الذي يعد نموذجاً لمدى التطور الذي شهده التدوين التاريخي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، لاسيما على صعيد التراجم.

2 - تكمن أهمية كتابه "درر العقود الفريدة"، إذا ما عرفنا أن مؤلفه قد أستخدم مصادر متنوعة فيها، إلا أنه كان يولي أهمية خاصة لمشاهداته العيانية، التي تأتي بالدرجة الأولى، ونقولاته الشفوية التي سمعها المقريزي من شيوخه، أو من أعيان الدولة، أو حدّثه أصحابه أو المترجم لهم، علاوة على ذلك فأنه أخذ أغلب تراجم النخب السياسية المغربية من كتاب أستاذه ابن خلدون.

3- أورد المقريزي في كتابه "درر العقود الفريدة"تراجم العديد من النخب السياسية المغربية، الذين لعبوا دوراً بارزاً في بلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، سواء كانوا من السلاطين والأمراء أو الوزارة والحجاب أو غيرهما، وهي في مجملها معلومات قيمة توضح جوانب مهمة من النشاط السياسي والإداري للعديد من النخب المغاربية.

4- شغلت تراجم النخب المغربية في بلاد الشام ومصر والحجاز مكانة واضحة من كتاب "درر العقود الفريدة" للمقريزي، حيث سلط الضوء على نشاطات جمع غفير من الفقهاء والعلماء المغاربة في مختلف الميادين والفروع العلمية كالعلوم الدينية والإنسانية واللسانية وغيرها، كما بيّن دور بعض علماء المغاربة وفقهائهم في الوظائف الدينية كالقضاء والتدريس وغير ذلك، علاوة على ذلك فأنه بيّن أن أغلب هؤلاء العلماء والفقهاء كانوا على مذهب المالكي.

5- وأخيراً لم تكن للتراجم النخب المغربية خصوصية في كتاب "درر العقود الفريدة" للمقريزي، وإنما جاءت أخبارهم مثل بقية أبناء البلدان الإسلامية الأخرى، ونتيجة لدورهم في الأحداث التاريخية فرضت عليه الاهتمام بهم، أي أن منظوره كان شمولياً في التعامل مع أبناء مختلف أنحاء العالم الإسلامي، التي برز دورهم في تطور الأحداث وحركة التاريخ.